سورة الأنبياء

٦٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾.

إن قلت: كيف وصف الحساب بالقرب، وقد مضى من وقت هذا الاخبار أكثر من تسعمائة عام ولم يوجد؟

قلت: معناه أنه قريب عند الله وإن كان بعيداً عندنا كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيباً ۝٧ ﴾ «المعارج: ٦، ٧» وقوله: ﴿ .. وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧ ﴾ «الحج: ٤٧».

أو أنه: قريب بالنسبة إلى ما مضى من الزمان.

أو أن المراد: قربة لكل واحد فى قبره، ويؤيده خبر «من مات قامت قيامته».

٦٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ ﴾.

قاله هنا: بلفظ ﴿من ربهم﴾ وفى الشعراء بلفظ ﴿من الرحمن﴾، لأن «الرب» يأتى مضافًا، بخلاف «الرحمن» لم يأت مضافًا غالبًا.

ولموافقة ما هنا قوله بعد: ﴿قال ربى يعلم القول﴾ وموافقة ما فى الشعراء قوله بعد: ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ إذ الرحمن والرحيم اخوان.

فإن قلت: كيف وصف الذكر بالحدوث مع أن الذكر الآتى هو القرآن، وهو قديم.

قلت: المراد أنه محدث إنزاله، أو أنه ذكر غير القرآن، وأضيف إلى الرب، لأنه أمر به وهاد له.

٦٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا .. ۝٣ ﴾.

---

٦٥٦ ـ انظر احتجاج المعتزلة بهذه الآية فى متشابه القرآن مشألة رقم ٤٧١، وانظر البرهان مسألة ٣٠٥.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن النجوى المسارة؟

قلت: معناه بالغوا فى إخفاء المسارة، بحيث لم يفهم أحد تناجيهم ومسارتهم، تفصيلاً ولا إجمالاً.

٦٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ .. ۝٧﴾ قاله هنا: بحذف «من» تبعًا لحذفها من قوله قبل ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ وقاله بعد بذكرها«١»، جريًا على الأصل.

٦٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ أمر مشركى مكة بأن يسألوا «أهل الذكر» أى أهل الكتاب، عمن مضى من الرسل، هل كانوا بشرًا أم ملائكة.

فإن قلت: كيف أمرهم بذلك، مع أنهم قالوا ﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه﴾؟

قلت: لا مانع من ذلك، إذ الإخبار بعدم الإتيان بشىء لا يمنع أمره بالإتيان به، ولوسلم فهم وإن لم يؤمنوا بكتاب أهل الكتاب، لكن النقل المتواتر من أهل الكتاب فى أمر، يفيد العلم لمن يؤمن بكتابهم، ولمن لا يؤمن به.

٦٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩﴾ أى لا يعيون.

٦٦١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .. ۝٣٠﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، الشامل لقوله فى النور ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ مع أن لنا أشياء أحياء، لم تخلق من الماء، وهم: الملائكة، والجن، وآدم، وناقة صالح؟ إذ الملائكة خلقت من نور، والجن من نار، وآدم من تراب، وناقة صالح من حجر لا من ماء؟

قلت: المراد به البعض كما فى قوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شىء﴾ وقوله: ﴿.. وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ .. ۝٢٢﴾ [يونس: ٢٢].

---

٦٥٨ ـ انظر الطبرى ١٧/٨.

«١» فى قوله ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه..﴾ آية (٢٥).

٦٦١ ـ جامع البيان ١٧/١٤.

أو الكل مخلوقون من الماء، لأن الله خلق قبل خلق الإنسان جوهره، ونظر إليها نظرة هيبة فاستحالت ماء، فخلق من ذلك الماء جميع المخلوقات. أوخلقهم من الماء، أما بواسطة أو بغيرها، ولهذا قيل: أنه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء، والجن من نار خلقها من الماء، وآدم من تراب خلقه من الماء.

٦٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أى إلى الجنة أو النار.

قال ذلك هنا بالواو، موافقة للتعين بها، فيما زاده هنا بقوله ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ وقال فى «العنكبوت: ٥٥» بـ «ثم» لدلالتها على تراخى الرجوع، المذكور عن بلوى الدنيا ـ ولم يقع بينهما تعبير بواو ـ ثم ما زاده هنا اختصاراً.

٦٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ قاله استهزاء وتهكمًا بمن سفهوه، وإلا ففاعله هو نفسه.

أو أنه لما كان الحامل له على الفعل، تعظيمهم للأصنام، وكان كبيرهم أبعث له على الفعل لمزيد تعظيمهم له، أسند الفعل إليه لأنه السبب فيه.

٦٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾.

إن قلت: كيف خاطب النار مع أنها لا تعقل؟

قلت: خطاب التحويل والتكوين، لا يختص بمن يعقل كما مر، قال تعالى: ﴿يا جبال أوبى معه والطير﴾ وقال: فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا﴾ وقال: ﴿وقيل يا أرض ابلعى ماءك﴾.

٦٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

قاله هنا: بلفظ ﴿الأخسرين﴾ وفى «الصافات: ٩٨» بلفظ ﴿الأسفلين﴾. لأن ما هنا تقدمه أن إبراهيم كادهم، وأنهم كادوه، وأنه غلبهم فى الكيد،

---

٦٦٥ ـ انظر القرطبى ١٥. ٩٧.

فخسرت تجارتهم حيث كسر أصنامهم، ولم يبلغوا من إحراقه مرادهم، فناسب ذكر ﴿الأخسرين﴾.

وما فى الصافات: تقدمه ﴿قالوا ابنو له بنيانًا فألقوه فى الجحيم﴾ فأججوا نارًا عظيمة، وبنوا بنيانًا عظيمًا، ورفعوا إبراهيم إليه رموه منه إلى أسفل، فرفعه الله إليه، وجعلهم فى الدنيا من الأسفلين، وردهم فى العقبى أسفل سافلين، فناسب ذكر الأسفلين.

٦٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

ختم القصة هنا بقوله: ﴿رحمة من عندنا﴾ وختمها فى «ص» بقوله ﴿رحمة منا﴾ لأن أيوب بالغ هنا فى التضرع بقوله: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ فبالغ تعالى فى الإجابة، فناسب ذكر ﴿من عندنا﴾ لأن عندنا يدل على أنه تعالى، تولى ذلك بنفسه، ولا مبالغة فى «ص» فناسب ذكر ﴿منا﴾ لعدم دلالته على ما دل عليه ﴿عندنا﴾.

٦٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ أى فى جيب درعها، بحذف مضامين، ولهذا ذكر الضمير فى «التحريم: ١٢» فقال: ﴿فنفخنا فيه﴾.

٦٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ قال ذلك هنا، وقال فى المؤمنين ﴿وأنا ربكم فاتقون. فتقطعوا﴾ لأن الخطاب هنا للكفار، فأمرهم بالعبادة التى هى التوحيد، ثم قال: ﴿وتقطعوا﴾ بالواو لا بالفاء، لأن مدخولها ليس مرتبًا على ما قبلها، بل هو واقع قبله، ومن قال: الخطاب مع المؤمنين، فمعناه: داوموا على العبادة.

---

٦٦٦ ـ انظر القرطبى.

obeikandl.com

والخطاب ثم للنبى وأمته، بدليل قوله قبل ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات..﴾ الآية.

والأنبياء وأمتهم مأمورون بالتقوى... ثم قال: ﴿فتقطعوا أمرهم﴾ بالفاء، أى ظهر منهم التقطع بعد هذا القول، والمراد أمتهم.

٦٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ أى ممتنع عليهم الرجوع.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع أنه لا بد من رجوعهم إلى الله؟

قلت: معناها لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان، أو لا يرجعون بعد إهلاكهم إلى الدنيا.

وقيل معنى: «حرام» واجب، فـ «لا» حينئذ زايدة أى واجب رجوعهم.

٦٧٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أى عن جهنم.

فإن قلت: كيف يكونون مبعدين عنها، وقد قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وورودها يقتضى القرب منها؟

قلت: معناه: مبعدون عن ألمها، وعناها، مع ورودهم لها.

أو معناه: مبعدون عنها بعد ورودها بالانجاء المذكور بعد الورود.

٦٧١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن النبى ﷺ لم يكن رحمة للكافرين بل نعمة، إذ لولا ارساله إليهم ما عذبوا بكفرهم قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾؟

قلت: بل كان رحمة للكافرين أيضًا، من حيث أن عذاب الاستئصال أخر عنهم بسببه.

أو كان رحمة عامة من حيث أنه جاء بما يسعدهم أن اتبعوه، ومن لم يتبعه فهو المقصر. أو المراد بـ «الرحمة» الرحيم، وهو ﷺ كان رحيمًا للكفار أيضًا، ألا ترى أنهم لما شجوه وكسروا رباعيته، حتى خر مغشيًا عليه، قال بعد إفاقته: «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون».

٦٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

فإن قلت: ما فائدة قوله «بالحق»؟

قلت: ليس المراد «بالحق» هنا نقيض الباطل، بل المراد ما وعده الله تعالى إياه، من نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين ووعده لا يكون إلا حقًا ونظيره قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾.

أو أن قوله: «بالحق» تأكيدًا لما فى التصريح بالصفة من المبالغة وإن كانت لازمة للفعل، ونظيره فى عكسه من صفة الذم قوله تعالى: ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾.

« تمت سورة الأنبياء »